(٢٠)

أحلام

أكانت(١) الأفريكان ورلد على ضآلة قدرها ، وصغر شأنها تحلم بأن تعنى الصحف المصرية بما تكتب هذه العناية التى ظهرت صباح اليوم فى السياسة والأهرام ...

سخر الكوكب أمس مما كتبته الأفريكان ورلد ، وتحدث عن رأيها فى الوزارة الائتلافية على أنه حلم من أحلام رئيس الوزراء ، وأمنية من

---

(١) ١٩٣٣/٤/٣ — عدد ٢٣٥٣

هذه الأمانى التى تعبث برأس الرجل الضعيف ، ولا سيما حين يستريح فى ظل الأهرام(١) ، حيث تكثر الصور والأشباح التى تؤرق قوما ، وترسل الأحلام إلى آخرين .

ولكن السياسة والأهرام لم تسخرا بما كتبته الأفريكان ورلد .

فأما السياسة فالظاهر أنها حرصت على أن تعيد للناس مالم يشك أحد فيه ، من أن الأحرار الدستوريين أكرم على أنفسهم وأحرص على مبادئهم من أن يشتركوا مع صدقى باشا فى اجتماع تبعات الحكم مهما تكن الظروف.

وأما الأهرام فيظهر أنها نظرت إلى مقال الأفريكان ورلد نظرة عناية وجد ، تعلم الأهرام حق العلم أن هذه الصحيفة لا تستحقها . ومن يدرى لعل الأفريكان ورلد إنما اتخذت وسيلة إلى إعادة الكلام فى الائتلاف والوزارة القومية(٢) ، ولعل الذين ألم بهم فى اليقظة أو فى النوم طيف هذا الائتلاف مع رئيس الوزراء ، هم الذين أوحوا إلى الأفريكان ورلد، وهم الذين تقدموا إلى الأهرام فى أن تعلق على ما كتبت الأفريكان ورلد .

والظاهر أن فى الجو المصرى الآن روحا يطوف حول جماعة من الناس ، هو روح الائتلاف مع رئيس الوزراء . . . . ! فقد خابت التجربة ، وأخفقت المحاولات ، وظهر أن الترقيع جهد ضائع ، ولم تبق إلا محاولة واحدة ، وهى أن يستقيل رئيس الوزراء مرة ثانية ،

---

(١) كان إسماعيل صدقى باشا يستجم أحيانا فى فندق ميناهوس .

(٢) كان الإنجليز يلوحون بفكرة الوزارة القومية ليحدثوا انشقاقا فى حزب الغالبية ولكن مصطفى النحاس ومعه آخرون من أعضاء الوفد رفض فكرة الوزارة القومية فى ظل دستور سنة ١٩٣٠ وصمم على عودة دستور سنة ١٩٢٣ واجراء انتخابات حرة ، ويترك الأمر للأمة فى نوع الوزارة التى تتولى الحكم . وكانت الأمة على اختلاف طبقاتها تؤيد الوفد وزعيمه .

ويجدد تأليف الوزارة ، على أن يكون الائتلاف أوسع مما هو الآن ! فيشمل قوما آخرين غير الاتحاديين والشعبيين ، كما قالت بعض الصحف الإنجليزية منذ أيام .

ما أقدر رئيس الوزراء رغم مرضه على سعة الآمال وبعد الخيال....! وكأن رئيس الوزراء لم يتبين إلى الآن أن زملاءه وأعوانه وأنصاره لا يمكن أن يكونوا فى يوم من الأيام مصدر قوته ! وإنما هو نفسه مصدر الضعف الذى يجده ويريد أن يتخلص منه ! ولو اعتدلت آمال رئيس الوزراء ، واقتصد فى خياله بعض الشىء لعرف أن الوسيلة الوحيدة التى تخلصه من هذا الضعف الذى يشكوه إنماهى أن يتعظ بقول الشاعر القديم :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع(١)

وقد ثبت ألف مرة ومرة أن رئيس الوزراء لا يستطيع الحكم ، وإنما يستطيع الراحة ، فماله لا يدع ما لا يستطيع إلى ما يستطيع ؟ فيستقيل ويفرغ لصحته ، ويستريح ويريح ؟

ولكن آمال رئيس الوزراء أوسع من قوته ، وخيال رئيس الوزراء أبعد من طاقته . وكثيرا ما شقى الناس بسعة الآمال وبعد الخيال ! !

على أن من الغريب ألا يتعظ الإنجليز وفريق من المصريين بالتجارب ولا يعتبروا بالحوادث ، وأن يمضوا مع الآمال كما يمضى رئيس الوزراء، ويستسلموا للخيال كما يستسلم رئيس الوزراء ، ويقدر كل واحد منهم أن المسألة المصرية لم تزل من المسائل التى يمكن أن تلتمس لها الحلول العرجاء أو تسلك إليها الطرق الملتوية ! فقد طالما لجأ الإنجليز ومعهم فريق من المصريين إلى الحلول العرجاء فلم يظفروا بشىء ، وطالما سلك الإنجليز

---

(١) هذا البيت ينسب الى الخليل بن أحمد، قاله للأصمعى وكان قد ذهب ليتلقى عنه العروض فلم يفتح ، وحينئذ قال له الخليل هذا البيت .

ومعهم فريق من المصريين هذه الطرق الملتوية فلم ينتهوا إلى شيء . . . ! استغفر الله ، بل انتهوا إلى الفشل والإخفاق ، واضطروا إلى أن يستأنفوا السعى ، وكأنهم لم يسعوا ويجدوا فى التماس الحل ، وكأنهم لم يلتمسوه من قبل . . . !

ومصدر هذا الاضطراب والتورط فى هذه المحاولات العقيمة أن الإنجليز وأعوانهم من المصريين لا يريدون أو لا يستطيعون أن يعترفوا بالحقيقة الواقعة ، وهى أن الأمة المصرية موجودة حقا ، شاعرة بوجودها حقا ، جادة فى طلب استقلالها حقا ، متنبهة لما يراد بها من الكيد حقا . فهى لا تؤخذ على غرة ، ولا تخدع بالأمانى والآمال . وهى لا تؤخذ بقوة ولا بعنف ، ولا تقبل إلا ما ترضاه هى ، لا ما يراد لها .

وإذن فلن يكون لما بينها وبين الإنجليز حل صحيح منتج إلا أن تشترك هى فى هذا الحل . وإذن فالدوران حولها لا يفيد ، ولا خير فى هذه المحاولات التى جربت مرات منذ كانت الحركة الوطنية ، فلم تنته إلا إلى ما أرادت الأمة نفسها .

نعم إن مذاق هذه الأمة مر على الإنجليز ، ولكنهم مضطرون إلى أن يحتملوا هذه المرارة ، وإلا فالأمر باق على ما هو عليه . وهم مهما يفعلوا فلن يزيدوا على تأجيل اليوم الذى يذوقون فيه هذه المرارة ويعترفون بأن أمور مصر يجب أن ترد إلى مصر ، وبأن الاتفاق يجب أن يكون مع الأمة المصرية .

نعم إن من المصريين من يحبون الحكم ويتعجلون الوصول إليه ويظنون كما يظن الإنجليز أن خداع هذه الأمة أمر يسير ، وأن من الممكن أن تزين لها الألفاظ فتغرها وترضيها بما لا ترضى ، ولكن هؤلاء المصريين قد رأوا وزارات قامت على هذا الخداع فلم تصنع شيئا ، وهم يرون الآن وزارة تقوم على تزيين الألفاظ حينا ، وعلى العنف والعسف حينا آخر ، فلا تصنع شيئا رغم البقاء الطويل والتأييد القوى المتصل .

إن الزمن لا يمضى عبثا ، ولا يذهب سدى ، ولعل خير ما أنتجه مر الغداة وكر العشى فى هذه الأيام عندنا هو أنه لم يبق أمل ما لرجل له حظ من العقل والتفكير فى أن يأخذ مصر بغير ما تريد . فما أجدر الإنجليز وأصدقاءهم من المصريين أن يواجهوا هذه الحقيقة الواقعة فى شجاعة وحزم وزهد فيما يغر ويخدع من الأمانى والأحلام ...

يذكرون الائتلاف ، فعلام يقوم هذا الائتلاف ؟ وبين من يكون هذا الائتلاف ؟ وأى طريق تسلك إلى تحقيق هذا الائتلاف ؟ وعمن تصدر الرغبة فى هذا الائتلاف ؟ أيقوم الائتلاف على حل الأزمة الاقتصادية ! ولكن هناك أزمة سياسية يجب أن تحل وهى معقدة ، شديدة التعقيد ، تتصل بعلاقاتنا مع الإنجليز ، وتتصل بالدستور ونظام الحكم .

وإذن فهل يقوم هذا الائتلاف على الاقتصاد دون السياسة ؟ ولعل الأزمة السياسية عندنا هى أكبر المؤثرات فى الأزمة الاقتصادية ، فإن قام الائتلاف على حل الأزمة السياسية ، فبأى الأزمتين يراد الابتداء ؟ أبا لأزمة الخارجية بحيث يحل ما بيننا وبين الإنجليز قبل كل شىء ؟ أم بالأزمة الداخلية بحيث يرد إلى البلاد دستورها قبل كل شىء ؟ وعلى كلتا الحالين فمن يكون الائتلاف ؟ أمن الأقليات المختلفة التى تمثلها الأحزاب المتباينة بحيث تحكم القلة وتقف الكثرة موقف المعارضة كما هى الحال الآن ؟ وإذن فأى شىء تغير ؟ وماذا يصنع المؤتلفون ؟ أو متى كان الحكم للقلة والمعارضة للكثرة ؟ أم تأتلف القلة والكثرة فلا يكون هناك حكام ومعارضون ؟

وإذن فمن أين تصدر الرغبة فى هذا الائتلاف ؟ أمن المصريين أنفسهم ؟ وإذن فيجب أن تسمع فى ذلك كلمة للكثرة قبل أن تسمع أى كلمة أخرى . أم تصدر هذه الرغبة من الإنجليز فيملى علينا الائتلاف منهم إملاء !! وإذن فأين تكون الكرامة القومية ، ومن ذا الذى زعم أن للأجنبى أن يكون الوزارات مؤتلفة أو غير مؤتلفة فى البلاد المستقلة ... ؟

كل هذه مسائل يجب أن يدرسها الذين يفكرون فى الوزارة الائتلافية أو فى الوزارة القومية . وهم إن فكروا فيها عرفوا أن هناك شرطا لابد منه قبل الكلام فى وزارة ائتلافية أو قومية ، وهى أن ترد لمصر حريتها ، فتستقيل الوزارة القائمة ، وتعود الحياة النيابية الحرة . يومئذ ويومئذ فحسب يمكن التفكير الجدى الصادق فى الائتلاف . يومئذ تصدر الرغبة فى الائتلاف عن الشعب المصرى الحر ، وتصدر هذه الرغبة فى وضح النهار ، وتحت أعين الناس جميعاً ، لا يوصى به أحد ، ولا يمليها أحد ، ولا تصدر فى ناحية من الأنحاء .

وإلى أن يأتى هذا اليوم الذى تستطيع مصر أن تفكر فيه حرة كريمة ، مستقلة الرأى يجب أن تجتمع كلمة المصريين على مقاومة الوزارة القائمة والذين يؤيدونها من الإنجليز .

سيقولون : ولكن الائتلاف هو الوسيلة إلى إسقاط الوزارة ، والتخلص من ثقلها . فمن الذى يشترط هذا الشرط ويلح فيه ؟ أهم الإنجليز ؟ وإذن فلندعهم وما يشاءون حتى يجدوا أنفسهم فى المأزق الذى لا مخرج منه إلا بالنزول عند إرادة الأمة .

قد يكون هذا طويلا ، وقد تحتمل فيه الآلام ، ولكن الجهاد السياسى ليس عبثا ولا لعبا . ومن لم يعرف الصبر واحتمال الألم وطول الانتظار خليق أن لا يتورط فى سياسة الشعوب ...

لست أكره الائتلاف ، ولا الوزارة القومية ، ولعلى أحبهما وأتمناهما ، ولكنى أحب ائتلافا يصدر عن إيمان الأمة ورغبتها . أحب ائتلافا يصعد من الشعب ، ولا يهبط عليه . وما رأى أنصار الائتلاف فى حل أرى أنه من العدل الذى لا حيف فيه ، والقصد الذى لا يتعرض لشك ولا يحتمل تأويلا . ما رأيهم فى أن تستقيل الوزارة القائمة قبل كل شىء ، وفى أن يمهد لانتخاب حر بعد ذلك ، وفى أن يكون الائتلاف والوزارة القومية موضوع الانتخاب .

ويتقدم أنصار الائتلاف والوزارة القومية إلى المصريين برأيهم، ويتقدم خصوم الائتلاف والوزارة القومية إلى المصريين برأيهم هذا . فأى الفريقين انتصر فى الانتخاب الحر الشريف، فإليه أمور مصر كلها فى حدود الدستور، يقضى فيها دون أن يتعرض لريبة أو شك أو اتهام .

أظن أن عرض المسألة على هذا النحو خليق أن يزيل الخلاف حول الائتلاف ، وأن يجمع كلمة الذين يحرصون على أن يكون حل المسألة المصرية معتمدا قبل كل شىء ، وبعد كل شىء ، وفوق كل شىء على إرادة الأمة خالصة من كل شائبة ، بريئة من كل شبهة ، آمنة من كل تأثير.

فليتعاون خصوم الوزارة بالصبر والصدق فى الجهاد والمقاومة حتى يكشف الله ضرها عن مصر، ثم ليحتكموا بعد ذلك إلى الأمة فى الوزارة التى تحل مشكلاتها الكبرى ، أهى الوزارة الحزبية أم الوزارة القومية ؟